بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة: دلولة خلدون

السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة رقم10:

الازدواجية والثنائية والتعدّد اللغوي:

ورد في المنجد في اللغة العربية: ازدوج: صار اثنين، ازدوج الرقم، ازدوجت عقدة، كلمتان اشبهت إحداهما الأخرى في الوزن والسجع.

وورد أنّ ازدواج: يقال ازدواجا أي ضار زوجين، يقال الزوج وهو خلاف الفرد وهما زوجان أوزوج .

يعرف **ابن خلدون**: الازدواجية فيقول: « إنّه تحول من الفصحى لغة التنزيل وفساد لما جبل عليه من صفة راسخة أو ملكة أو طبع مخالطتهم للأعاجم... إذ البعد عن اللسان إنمّا هو بمخالطة العجم....»

ونجد عند **نهاد موسى** قوله:« الازدواجية ما نشهد في العربية من تقابل الفصحى والعامية، بينهما فرق أساسي حاسم يتمثل في أن الفصحى نظام لغوي معرب، أمّا العامية فقد سقط منها الإعراب بصورة شبه كليّة».

وكلّها تعاريف تدل على أنّ الازدواجية اللغوية تترسّخ في لغة واحدة فتُحدث فيها تباينا لسانيا، حيث تستخدم العامية في العموم، أمّا الفصحى في الخصوص.

كذلك لا تقتصر الازدواجية اللغوية على اللغة العربية فقط، بل تنتقل إلى اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية وغيرها..

ويُعدّ العالم الألماني **"كارل كرمباخر"** أول من تحدّث عن الازدواجية اللغوية سنة 1902م بين اليونانية والعربية، ويعتبر **" وليام مارسيه"** أول مـــــــن أطلق بالفرنسية مصطلح «La diglossie»حيث يعرّفها على أنّها

"التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث" بمعنى أنّ العامية أصبحت تلازم الفصحى بل تنافسها أيضا.

الثنائية اللغوية:

هي وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين لغويين مختلفين فلا تكون الدولة مزدوجة اللسان لآنّ مواطنيها هم كذلك، بل لأنها كدولة تستغل بأكثر من لسان –ازدواجية اللسان القومي-وهو يحصل نتيجة عدة عوامل: الجغرافيا، التاريخ، القيود الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية، أو العسكرية.

والواقع أنّ اللغتين غالبا ما يكونان متناسقيْن: ففي بلجيكا مثلا نميّز منطقة "فلاماندية" وأخرى "فرنسية"، علما بأن هذه الظاهرة تنشأ دائما من عوامل فردية، وقد تعود للعوامل الاستعمارية ولا سيّما الإنجليزية والفرنسية منها.

التعدّد اللغوي:

يُطلق على الفرد الذي يستخدم داخل مجموعة لغوية واحدة عدّة لغات حسب ظروف الخطاب: العائلية، السياسية، الاقتصادية...إلخ ،أيْ هي حالة نقف عليها على مستوى الفرد-ازدواج اللسان الفردي-بطابع استثنائي طبيعي.

وعليه فإنّ اللسان (أ) يُلَبيّ بعض وظائف التواصل الكلامي الاجتماعي، أمّا اللسان(ب) فيلبيّ وظائف أخرى... وهلمّ جرّا، وليس هناك إجماع في الآراء حول هذا الأمر، فالمترجم هو أفضل مثال تقريبا على وضع متعدّد اللغة، حيث يعمل السّلوك الكلامي عند المترجم على إبراز ظواهر التداخل في اللسانيين اللذين يمارسها في آن واحد، وفي العموم تمثل تجربة يوميّة تفرضها أوضاع ثقافية، اجتماعية، سياسية... تنعكس- إلى حدّ ما- على الصعيدين الذاتي أو الجماعي.

وليس أقلّ خطورة أمر المفاضلة بين الفصحى والعاميّة، أو بين الفصحى واللّهجات المحلية، واعتبار العامية هي أكثر سلاسة وانسيابا والأيسر في التفاهم والتعارف، وأنّ الفصحى بنحوها وصرفها ومخارج حروفها هي لغة صعبة معقّدة في تعلّمها وتعليمها، لذلك أصبحت معزولة عن الحياة محنّطة في المعاجم والكتب القديمة، فاقدة للقدرة على الإرسال لصعوبة تعلمّها والإحاطة بها، وفاقدة الأهلية في الاستقبال... ذلك أن وظيفة اللغة – في نظرهم-تقتصر على تحقيق التوصيل والتفاهم بين المرسل والمتلقي ومادام هذا التفاهم يتم بسهولة ويُسر فلا داعي للتعنّت والتنطّع والتقعّر في اختيار الألفاظ وإنهاك العقل في المحافظة على بنائها ورصفها، والفصحى عندهم أصبحت في عداد الموتى فلماذا المحاولات اليائسة لبعثها وإحيائها ؟؟ لكن الحقيقة تقول غير ذلك لأنّ العامية لا تتعدى كوْنها أنماط هزيلة، لا تستطيع أن تزوّد الفرد بما يحتاج إليه من ألفاظ وأساليب تعبير في حواره أو فيما يكتب، ولن تكون مقبولة في مجال الكتابة، كما أنّ وفاءها لحاجات التخاطبالاجتماعي العادي محدود بحدود جغرافية ضيقة أمّا الفصحى فهي لغة القرآن الكريم ولغة الكتب والمناسبات الرّسمية، وهي واحدة في جميع البلاد العربية، قواعدها ثابتة منطوقة أو مكتوبة.

والمؤسف هو نزول اللهجة الدارجة للفصول التعليمية في المدارس والجامعات بوصفها القناة المعتمدة في تعليم جميع المواد الدراسية، وهو تورّط نتائجه غير مضمونة. ويوضح الأستاذ **"عبد الرحمن الحاج صالح"** إلى كوْن العربية تعرف نوعين من الأداء حيث **الأول** : هو تعبير يُعنى فيه المتكلم بتحقيق الحروف دون اختزال الالفاظ، أمّا **الثاني** : فهو تعبير يسترسل فيه المتكلّم لأنه يخاطب شخصا مأنوسا كصديق أو ابن أو زوجة، وهو فصيح سُمع عن العرب الموثوق بعربيّتهم وهنا يضيف أيضا أنّ هذا ليس تفصيحا للعاميّة، وإنماّ هو

إحياء التعبير غير المكلّف، وبالتالي التأكيد على الوضع اللغوي الواحد، لا الوضعين المتداخلين كما هو الحال عند المزدوجين، وهو –إذن- مستوى لغوي طبيعي يجعل من المتعلّم بغير حاجة إلى العامية أنها تمدّه بما يحتاج إليه لتأدية أغراضه بسهولة ويُسر.

وتبقى اللغة ظاهرة اجتماعية، تنهض بنهضة أهلها وتضعف بضعفهم، وقد تموت إذا اختفى أثر مستعمليها واللغة العربية رغم تراجعها تتميّز بالحيوية والمرونة التي تسهّل على أهلها النهوض بها ثانية، وهنا من المفترض أن يكون للمجامع اللغوية العربية الدور الرئيس في النهوض باللغة العربية، لأننا لو نظرنا إلى معالجة الازدواجية قبل عشرين عاما لوجدت أنه لا يذكر تقريبا لقضية الثنائية ، أما الآن فإن الثنائية اللغوية تطرح تساؤلات جديدة تفاضل بين العامية واللغة الأجنبية، بين الفصحى واللغة الأجنبيّة، وهذه تهديدات لم تعدّ همّ اللساني العربي لوحده، بلْ هم جميع أبناء الوطن العربي لأنّها قضية عصر تتطلّب حلولا حاسمة أولها ضرورة إدراج اللغة العربية في مجالها التداولي الفعّال، فهي اللغة التي تتميز بالكمال والعالمية لآنّها لغة القرآن الكريم، يقول فيها الشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب:

لغـــــة القرآن يا شمس المهـــــدى ✵✵ صانك الرحمن مـــــــــن كيد العدى

هـــــل على وجه الثرى من لغة ✵✵ أحدثت في مسمع الدهر صدى